

رهانات السعودية الخاسرة في شرق الفرات السوري

أيهم المطه

لا شك أن من حق كل دولة البحث عن توسيعة نفوذها ومد تأثيرها إلى أبعد مدى ممكن إقليمياً ودولياً، بما يضمن لها مصالحها ويزيد في قوتها، ويحفظ منها الحيوي والاستراتيجي، لكن المُخَاطِر الحكيم هو الذي يبحث عن حواجز حقيقة ومستدامة لهذا النفوذ حتى لا يكون أني وينعكس سلباً فتأتي النتائج معايرة لما هو مطلوب.

إن غياب الرؤية الإستراتيجية الحكيمة و الإنغال بالألعاب صيانية المتهورة البعيدة عن التفكير السليم و المنطقى ، و التي تجلب الخراب والفوضى أكثر مما تأتى بالأرباح والاستقرار ، ولذا فالمحاولات غير المحسوبة القائمة على الهوى والضلال الإستراتيجي و الجهل التاريخي والسياسي و الغرافى ، لن تأتى سوى بالمشاكل والخسائر و تراكم المزيد من الظلمات ولنا في حرب اليمن مثل قريب واضح ، و تجربة لاتزال ماثلة أمامنا بقضمها وقضيضها ، فلماذا الإصرار على إعادة إنتاج التجارب الفاشلة ولماذا الإصراء إلى التقليل الأمريكي والإسرائيلى ؟ !

أمريكا و إسرائيل تبتز حلفاؤها وتستهلكم ''قوة ، و قدرات ، و موارد حتى (سمعة) و إرث ، و تاريخ '' حتى إذا بدأ الإنهايار تركوهم يغرقون وحدهم وابتعدوا عنهم ، و ما شاه ايران وما حدث معه منا بعيد إذ لم يحميه حلفه الأمريكي و لا الحرس والحماية الاسرائيلية المباشرة.

لأنه شكل طوق نجاً للمنطقة و حاجز حماية صانها لعدة سنوات .
الناتج في المنطقة ، كما أنه شكل طوق نجاً للمنطقة و حاجز حماية صانها لعدة سنوات .
سوى الترجم على أيام محور الـ سـس وما ضمته من مصالح حيوية للدولتين ، حيث مثل أحد المحاور الفاعلة
لا يستطيع عاقل التشكك في الترابط الذي يجمع المملكة العربية السعودية بسوريا ، و لا تستطيع هنا
السورية لم ينتج سوى المزيد من المأساة و الكوارث و ما اتمناه الا تكون امام تصنيع المزيد منها .
لا نريد هنا أن نصح أخطاء أحد أو نقيل عثرات الآخرين لكن التدخل السلبي الخليجي منذ بداية الأزمات
فلماذا تصر قيادة المملكة العربية السعودية على اتباع طرق مسدودة معروفة النهايات ؟ !

الملكة وخلال السنوات القليلة الماضية اختارت التدخل في سوريا عبر مجموعة من الوكاء المحليين الفاشلين الذين أثبتت السنوات الماضية انعدام واقعيتهم وقلة خبراتهم وتجاربهم وتأثير انتقاماً لهم

الأيديولوجية ومصالحهم الشخصية على تصرفاتهم ويبدوا أنها هذه الفترة تحاول تصنيع مجموعة جديدة من الوكلاء .

وحتى لا نتشعب كثيراً فما يعني هنا هم الوكاء الجدد في شرق الفرات وحيث اعتمدت المملكة في السابق على مجموعة من شخصيات المنطقة بخلفيات دينية وسياسية معينة إلا أنها ومنذ عام 2017 تحاول أن تضع موظئ قدم عبر وكلاء جدد عبر توطيد علاقتها مع قسد بشقيها العربي والكردي مدفوعة بعدائها لتركيا من جهة و مجبرة على مساعدة حليفها الأمريكي من جهة أخرى و راغبة بالعثور على يعزز نفوذها أمام المدعى الأيراني الذي طوّقها من جميع الجهات و هو مالم يكن في حساب المملكة عندما كانت تقف في صف داعمي الحرب على سوريا و عندما دعمت و مولت وسلحت الفصائل الجهادية فيها .

ولاشك أن خسارة سورية خاصة وبلاد الشام عامة تعتبر موجعة للملكة التي لم تضع في حساباتها أن دمشق ستخرج من النيران التي أحاطت بها ولكن لابد أن تراجع المملكة حساباتها جيداً وتعيد النظر في الخارطة اليوم وفي ميزان القوى الموجودة على الأرض لتبني سياسة أكثر اتساقاً مع عروبتها وانتمائها التاريخي و أكثر وعيها ، و نضجاً ، و حكمة و اتزان و تجد الطريق الأسلم للوصول إلى دمشق بعيداً عن المنافعات و العنتريات و الأوهام التي سادت خلال السنوات الماضية .

باحث السعودية عن موطن قدم في سوريا لمنافسة الوجود الإيراني وهذا أمر يبدو شبه مستحيل في الوقت الحالي مهما انفقت المملكة من أموال أو أرسلت من وفود أمنية وعسكرية إلى المنطقة أقله ليس عبر الطرق والقنوات التي تسلكها المملكة اليوم والتي تصلها مع تل أبيب أكثر ما تصلها مع العالم العربي وسوريا ، ليس لأنها (المملكة) لا تمتلك القدرة الفنية والإمكانات اللوجستية والعناصر البشرية القادرة الكفؤة لذلك فحسب بل إن الحساب المنطقي يكشف أن السعودية قادرة فقط على ضخ المال- كما قال الرئيس الأمريكي - وهذه وحده غير كافي في معركة كبيرة ومتشعبه وتحتاج إلى تحطيط واستراتيجية وخبرة تفوق خبرة إدارة جعلت من إعدام أحد مواطنيها فضيحة عالمية.

فالمعركة في سوريا هي معركة معلومات و خبرات وتقنيات وجيوش بأحدث المهارات والتسليح ، لكنها في المقام الأول معركة هوية ووعي وإنتماء إلى ثوابت المنطقة و تاريخها وسيادتها الحضاري والبشري. السعودية فشلت في قراءة المعطيات الموجودة على الأرض حين اختارت شرق الفرات مدفوعة بالتضليل الامريكي - الاسرائيلي فمن الواضح أن الجميع في المنطقة يتوجه نحو المحور الروسي - السوري - الايراني - العراقي وهذا بدا جليا في اجتماع شيوخ عشائر الجزيرة في ايران وميلهم نحو دمشق ، كما بدا ان قسد تسير بهذا الإتجاه وإن كان بخطى متثاقلة.

فلا قوات قسد التي تدعمها الولايات المتحدة و السعودية قادرة على الصمود لفترة طويلة مع كل المشاكل التي تواجهها على الأرض ولا قوات الحلفاء الغربيين قادرة على حماية المصالح السعودية في سوريا وهي ستبقى مكشوفة إن تمكنت من البقاء أصلاً ، وهذا ما اثبتته تعرض حقل العمر النفطي - الذي يضم جنود وخبراء أمريكيين وسعوديين - لقصف بمواريف الكاتيوشا قبل أيام .

كما ان تشكيل قوات عربية ذات قوة حقيقية في شرق الفرات هو شبه مستحيل أقله في الوقت الحالي لأن القيادة الكردية ترفض ذلك من جهة وان التحالف الغربي لا يثق بمثل هذه القوات من جهة أخرى كما أن التحالف الغربي نفسه فشل خلال ومنذ عام 2011 في تشكيل قوة عربية ممكناً التعويل عليها في المنطقة . فضلاً عن عدم قدرة المكونات المحلية اقلها في الوقت الحالي على تشكيل اي جسم حقيقي واعي ، و قادر على الصمود وقابل للحياة بسبب التفتت الداخلي والصراعات العميقة بين مكونات المنطقة و هذه الصراعات تمتد الى داخل الهياكل القديمة في المنطقة كالعشائر او التشكيلات العسكرية التي كانت موجودة ما بين 2011 و 2014 وما على القيادة السعودية ان تعينه ان شرق الفرات يعاني من حالة فراغ فوضى وتشظي يسترها ثوب رقيق من الوجود الغربي و الدعم المالي .

فالقوة العشائرية المتبقية هي غير مسيطرة و متعددة الولاءات ولا تجمع بينها رؤية او منظور واحد او تحمل مشروع معين وهي تعايني من الضعف و غياب التنسيق وتعرضت لكثير من الأزمات والصراعات التي اضعفتها كما ان اتجاهاتها السياسية متعددة وغير قادرة على إنتاج رؤية موحدة .

فضلاً عن وجود خلية فاعلة من تنظيم الدولة الذي لايزال يمتلك الكثير من اوراق القوة في المنطقة و هي موجودة وفاعلة ومؤثرة ولاتزال ترهب خصومها وي Pax لـ لها الكثير من ابناء المنطقة ، و حتى قد تعي ذلك وتأخذه بعين الاعتبار أثناء تحركها .

كما ان قوات قسد ذاتها وك جسم سياسي تعايني من أزمات داخلية متعددة فالقوى الموجودة ليست واحدة او متجانسة و أغلب منتسبيها هم من الذين دفعتهم الحاجة المادية و أغلب الفئات الشعبية العربية في مناطق قسد غاضبة من التسلط الكردي فضلاً عن المشروع واهن ودون حواجز مادية او معنوية ، وسيسقط مع توقف الصخ المالي و خروج القوات الأجنبية .

السعودية التي أرسلت السبهان أكثر من مرة الى شرق الفرات وأعلنت دعم قسد بـ 100 مليون دولار و ارسلت العديد من الوفود الأمنية والعسكرية الى المنطقة فضلاً عن خبرائها ومقاتليها المتواجدون حالياً في عدة مناطق من شرق الفرات كما انها استقبلت اخيراً السيد غسان اليوسف رئيس مجلس دير الزور المدني الذي زارها في اواخر نوفمبر / تشرين الثاني تحاول جاهدة تمكين تواجدها و مد نفوذها للاستمرار كطرف مؤثر في المعادلة السورية تجاهله عن عمد انها تسير فوق رمال متحركة .

فحتى الامريكيين او السيد غسان اليوسف يعجزون عن السير ليلاً في المنطقة التي يدعون حكمها متناسين أنها تحولت الى أراضي رافضة لهم وأهالي يتربصون بهم فضلاً عن المشاهد المذلة التي تعرض لها الجنود والأليات الأمريكية وهم يرشقون بالحجارة و يواجهون اهانات الأهالي اضافة الى الاستهداف شبه اليومي الذي يطال كل من يتعامل معهم .

لكن يبدو ان القيادة السعودية لم تعي درس اليمن جيداً ولا تزال مصرة على إضاعة أموالها في رهانات خاسرة .

